الدراسة التركيبية في التراث اللساني العربي
ظاهرة القرينة النحوية أنموذجا

أ، سلطاني فاروق
جامعة المسيلة

الملخص:
اهتم اللغويون القدماء باللسانيات، حيث تناولوا مواضيع ومحاور عديدة ومتنوعة، لها قيمتها في البناء اللغوي داخل الخطاب اللغوي، والمستوى التركيبي جزأ لا يتجزأ من هذا التراث اللساني الوفير والقيم، حيث يكون فيه التركيب محورا من العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية تتحدد من خلالها الدلالة، والقرينة النحوية من أهم المواضيع التي نظر لها اللغويون القدماء في التراث اللساني، من حيث أنوعاها وأقسامها، تبين من خلالها أن للقرينة دور مهم في إنتاج الدلالة داخل التركيب
الكلمات المفتاحية: التركيب في اللسانيات، القرينة النحوية، القرينة اللفظية ، القرينة المعنوية.

شكلت اللسانيات منطلقا هاما لدى النقاد والباحثين في دراسة النصوص الأدبية، والبحث في نسيجها اللغوي على الدلالة التي تحملها العلامة اللغوية والغير لغوية المكونة لها، ذلك أن اللسانيات كعلم قائم بدراسة العلامة اللغوية والغير اللغوية فهي تنظر للخطاب الأدبي {شعر/نثر} على أنه موضوع لساني قائم على علامة تنتظم في نسق تتحدد من خلال المفاهيم الدلالية للنص، فللسانيات جذورها المعرفية في التراث العربي، والتي نظر لها عديد اللغويين العرب وسعوا إلى تبيان معالمها النقدية التي تستند لها في دراسة النصوص المختلفة وخاصة الأدب، وإن كان تركيز هؤلاء اللغويين محصورا بين الشعر من جهة والقرآن الكريم من جهة ثانية أستلهم قريحتهم النقدية وسعوا للبحث في بلاغته.

سعى اللغويون القدماء إلى فهم الخطابات الأدبية من خلال التنظير لدرس لساني يشرح ويحلل البني اللغوية والغير اللغوية في فهم والكشف عن دلالة الخطابات، مستمدا مبادئه من مختلف العلوم السائدة {البلاغية والنحوية والصرفية والعروضية ودلالية...الخ}، فكان من أهم المستويات التي اعتمدوها كإجراء في دراسة و تحليل وفهم الخطابات الأدبية المستوى التركيبي : الذي هو دراسة في تركيب النص من خلال دراسة بنيته اللغوية التي تندرج في نسق خاضع لقواعد لغوية معينة قائمة على النظام والانتظام، انطلاقا من القواعد النحوية التي تهتم بدراسة الجملة، حيث يستمد المستوى التركيبي آلياته التحليلية من مختلف العلوم اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والبلاغية، التي تعمل على دراسة النص من مختلف الزوايا محاولا الكشف عما يحتويه من مدلولات تنطوي عليها العلامة {لغوية /غير لغوية} فنظر اللغويون القدماء للمستوى التركيبي مركزين على ما تمده علوم النحو والبلاغة من إجراءات تنعكس في فهم موقع اللفظ في الجملة في إعطاء مدلول يتناسب وموضعه في النسيج اللغوي، فالقرينة الإعرابية جزء لا يتجزأ من محاور التركيب التي لها قيمتها في الدرس اللساني العربي أين أهتم اللغويون بالقرينة وسعوا إلى تنظير لها من مختلف الزوايا وتبيان قيمتها في إنتاج الدلالة ضمن المستوى التركيبي، من منطلق أن الدلالة ترتبط بالمنجز اللغوي، فاللسانيات نظرت للخطابات الأدبية

على أنها "منظومة رمزية"، فإلى جانب كونها لغوية وهو ما يندرج في ماهيتها اللغوية على أنها قائمة على الاعتباطية، إلا أنها من ناحية الفرضية القائمة على" المنظومة الرمزية" تحمل القصد قابل لإنتاج تصورات، لأن وراء كل شكل لغوي منتج تصور فكري مسبق مولد في الذهن، وبالتالي هو يحمل قصدا يجعلنا نبحث عن الآليات التي تتيح لنا فهم المعنى الذي يحتويه النص، تكون فيه القرينة اللغوية جزءا مهما في تشكل الدلالة داخل المستوى التركيبي.

_ كيف يتحدد مفهوم القرينة النحوية من منطلق تشكلها داخل المستوى التركيبي؟.

_ كيف تتجلى القرينة دلالة القرينة النحوية في المستوى التركيبي ؟.

إن المتأمل في التراث اللساني العربي القديم، يقف على مدى اهتمام اللغويين باللغة وسعوا إلى فهم أسرارها وتركيبها وبنيتها التي تقوم عليها من خلال جملة القواعد التي تشكل النسق اللغوي لها، ومن أهم المحاور التي ركزوا عليها كمنطلق في دراسة اللغة هو الاهتمام بالتكامل بين المستويات اللسانية داخل اللغة، حيث شكل المستوى التركيبي جزأ مهما في هذه الدراسة من منطلق أن التركيب يتحدد بكونه تلك الدراسة التي تتناول صيغ اللغة أو أجزاء الخطاب تأليفا وتركيبا، وتشكل الجملة في المستوى التركيبي المنطلق الأساس في كل دراسة فهي تقوم على جملة من العلاقات التركيبية داخل الجملة والتي يكون فيها التركيب "علم حقيقي مجاله تأليفا وتركيبا، إذ هو علم يهتم بدراسة العلاقات التركيبية داخل الجملة وبدون هذه العلاقات تصبح الكلمات مبعثرة بلا قيمة"[1].

إن المستوى التركيبي في دراسته للخطاب اللغوي يجعل من الجملة مركز الدراسة ومنطلقا يبدأ منها ليدرس ويحلل ظواهرها اللغوية من مبدأ الكل إلى الجزء، فالمستوى التركيبي يحمل نظرة شاملة للخطاب اللغوي ويبدأ في استقراء أجزائها دون أن يحصر اهتمامه بجزإ دون الآخر، حيث يكون هذه الدراسة استرساليه تنطلق من البنى التركيبية إلى النظر في قواعد التركيب حيث تتلخص خصوصية المستوى التركيبي في: "النظرة إلى التركيب نظرة استقرائية شاملة بحيث لا ينحصر الاهتمام بعناصر الجملة، بل يجري وصف مختلف الحالات وتجليات التأليف اللغوي، الانطلاق من تعليم البنى التركيبية إلى النظر في قواعد التركيب، اعتماد الطريقة الكلية بالانطلاق من التركيب الكلي أو الأصلي إلى دراسة العناصر أو الأجزاء المكونة لهذا التركيب"[2].

وينظر عديد اللغويين خاصة في الدرس النحوي العربي الحديث أن المستوى التركيبي علم قائم بذاته من منطلق استفادته من مختلف العلوم في دراسة وتحليل الخطاب الأدبي، فهو إلى جانب كونه يأخذ معالم العلم فهو من منظور اللغويين يماثل علم النحو خاصة من خلال تركيزه على دراسة الجملة كوحدة دالة داخل النسق اللغوي "علم التركيب في الدرس النحوي العربي الحديث يعبر عنه بأوجه مختلفة منها، علم الصيغ، وعلم النحو، أو علم القواعد، أو علم الجمل، وعلم التركيب بحسب الدرس اللساني الحديث هو حقل نحوي يهتم بتنظيم الوحدات الدالة في الجملة والجملة "phrase"، عند إبراهيم هي أقل قدرا من السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركيب

هذا القدر من كلمة واحدة أم أكثر وقد تكون تركيبا يتألف من ثلاث عناصر أساسية المسند، المسند إليه، والإسناد" [3].

إن المستوى التركيبي في دراسة للخطاب اللغوية فإنه الغاية الأساس هي التوصل لفهم أسرار اللغة العربية ومكوناتها التي تتشكل فيها داخل النسق من منبر أن اللغة هي خاصية الإنسان وجوهره، الذي يخول له ممارسة خصوصيته الاجتماعية من خلال التفاعل التواصلي باستعمال اللغة، يفصح فيها عن المدلول الذي يجول في ذهنه من طلب أو إحساس يكون بصورة واضحة ومفهومة المعنى "إن اللغة هي أداة اتصال بين أفراد مجتمع يتكلمها، وغايتها هي الإبلاغ بوضوح عن خبر ما، أو شرط أو إفصاح عن إحساس يحس به المتكلم، وهذا الوضوح في المعنى هو الذي يسمى أمن اللبس ومن أجله قامت قرائن المعنى النحوي"[4].

حيث يتبين من خلال هذا أن القرينة تأخذ قيمة مهمة في عملية الاتصال اللغوي، وهي تؤثر في إنتاج المدلول قائم على الوضوح والبعد عن اللبس، لذلك فالقرينة منحها اللغويون العرب القدماء قيمة مهمة تتجلى بالأساس في التنظير لمفهومها حيث يقول ابن منظور:" القرن والقرين، البعير المقرون بالأخر، والقرينة الناقة تشد إلى الأخرى والقرين، صاحبك الذي يقارنك والجمع القرناء وقرينة الرجل، امرأته لمقارنتها إياه"[5].

حيث يتبين من خلال القول أن القرينة عند إبن منظور تأخذ مفهوم المصاحبة والمرافقة والتواصل والربط بين الشيئين، وهو نفس المدلول الذي أشار له الجوهري في تعريف للقرينة من خلال إعطائها مفهوم الإيصال والربط حيث يقول الجوهري في كتاب الصحاح: "قرن بين الحج والعمرة قرانا بالكسرة، وقرنت الشيء بالشيء، وصلته به، والقران أن نقرن بين ثمرتين تأكلهما"[6].

والقرينة من الناحية الاصطلاحية تأخذ دلالة الاختصاص الدلالي بشيء دون الأخر أي أن هذه الدلالة تختص بالشيء دون غيره من الأشياء، فصارت القرينة علامة لغوية دالة عليه دون أن يشترك غيره فيه حيث يقول محمد سمير نجيب اللبدي: "تطلق ويقصد بها الدلالة اللفظية أو المعنوية أو الحالية التي تمحص المدلول وتصرفه إلى المراد منه، مع منع غيره من الدخول فيه"[7].

حيث يتبين من خلال هذا القول أن القرينة اصطلاحا هي دلالة للشيء بما يميزه عن غيره دون أن يشترك فيه غيره فتكون دلالته ملتصقة به دون غير وخاصية مميزة له تجعله انفراديا.

إن الترابط الذي تبديه القرينة في الدلالة أنما هو قائم على أساس التركيب القائم بين اللفظ والمعنى فهو ترابط قائم على ضرورية ترابط الدلالة باللفظ دون سواه، أن يتضح ذلك بشكل كبير في الدرس النحوي، فاللفظ يأخذ معناه من خلال مراتب اللفظ في الجملة هذه الدلالة في النحو من خلال الجملة هي بديل للسياق والمقام الذي يزول بشكل نسقي إذا ما تعلق الأمر بمحايثة النص أي دلالة داخل البناء النصي، ذلك أن الجملة هي محور العملية التحليلية في دراسة اللغة ذلك أن المستوى التركيبي ينطلق من الجملة أي من الكل المكون للنص "إن محور الدراسة في المستوى التركيبي هو الجملة أو التركيب اللغوي"[8]، فالدلالة تتجلى فيه من

خلال التركيب ولا تخرج عنه فوحده التركيب من يبن ويحدد الدلالة من خلال القرينة اللغوية فيقول إبن جني: "من ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل في النحو، ضرب غلامه زيدا، فهذا لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول، وفساد تقديم المضمر على مضمره لفظا ومعنى، ومما نقضت مرتبته المفعول في الاستفهام والشرط فإنهما يجيئان مقدمين على الفعلين الناصبين لهما، وإذا كانت رتبة المفعول أن يكون بعد العامل، لكن وجب تقديمه لقرينة انضمت إلى ذلك، وهي وجوب تقديم الأسماء المستفهمة والأسماء المشروطة بها، فهذا من النقض العارض، فأعلم أنه لا تنقص مرتبته إلا لأمر حادث فتأمله وابحث عنه"[9].

فيتضح من خلال هذا إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول وفساد تقديم المضمر على مضمره لفظا ومعنى في التركيب القرينة، من حيث ان القيمة الأساسية للقرينة هي إزالة اللبس والتثبيت الوضوح في المعنى.

إن القرينة النحوية في التركيب تقوم على خمسة مصادر تتشكل من خلالها ماهيتها الدلالية التي تتحد من خلال ترابط هذه المصادر على المستوى التركيبي لتأدية خصوصيتها كقرينة نحوية قائمة على تجاوز اللبس ورفعه وتثبيت عامل الوضوح في المعنى والترابط بين اللفظ والمعنى، ومن مصادر القرينة النحوية نجد: النظام الصوتي، النظام الدلالي، النظام النحوي، ودلالة السياق، الدلالة الحالية، بحيث كل قرينة تخرج عن هذه المصادر فإنها تدخل في اللبس والغموض، وبذلك تعدل عن ماهيتها في إزالة اللبس وتثبيت الوضوح "كقانون أساسي يحكم عملية الاتصال اللغوي، سواء أكان ذلك في حقل النحو أو حقل أخر من حقول السيمياء وتدخل تحتها اللغة، والأمارة الدالة على كل أمر هي قرينة"[10].

أما النظام الصوتي فيقدم للنحو أصواتا مثل: حركات الإعراب الثلاث، وفي حالة النظام الصوتي العربي بالذات تقوم الوظيفة أو المعنى الوظيفي أولا وقبل كل شيء بالتفريق بين طائفتين متباينتين من الأصوات، إحداهما الصحاح والأخرى العلل، من حيث أن النظام الصوتي هو الشق الأول في تحديد الدلالة من منطلق أن النظام الصوتي يمثل الدال أو الصورة السمعية التي تتحد بجزء الصوتي الأول وهو الفونيم "معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ترسم في الخيال مسموع، ارتسم في النفس معناه فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم فكلما أورده الحس على النفس التفت النفس إلى معناه وهو معنى الدلالة والتي لا تكون إلا من خلال النظام الصوتي كمحدد أولي للمفهوم"[11].

ويتحدد النظام الصرف فيقدم أصل الوضع وأصل الاشتقاق والعدول عن الوضع والصيغ الصرفية ومعانيها والميزان الصرفي وإمضاء حروف المعاني والأدوات، فيكون النظام الصرفي في ذلك مصدر قرينتي البنية والأداة، فلا شك أن دراسة التركيب الصرفي للكلمة يؤدي إلى بيان المعنى، فلا يكفي لبيان معنى اللفظ أن نكشف عن معناها في المعجم، وأن نبين مادتها بل لا بد أن نضم إلى ذلك معنى الصيغة، إلا أن الصرفيين لهم قواعدهم الصرفية التي ينطلقون منها، وهي تضيف للمعنى المعجمي معنى أخر أكثر

واقعية ووضوحا "وهذا يؤكد الصلة القوية بين علم الصرف وعلم الدلالة فكلاهما متكاملان ومتداخلان"[12].

وتحدد المباني الصرفية المعاني، ذلك أن المعاني التي لا مباني لها لا وضوح فيها واللبس من يسكنها، فالمباني رموز المعاني، فلا غنى عن الرمز في نظام اللغة، فالجدول التالي يوضح ذلك:

المعنى	المبنى	العلامة
_ الإسمية	_ صيغة الإسم	_ زيد
_ الفعلية	_ صيغة الفعل	_ ضرب، يضرب
_ الإضمار	_ الضمير على إطلاقه	_ هو، هي
_التعريف	_ ال (المعرفة)	_ ال (كتاب) مثلا
_ التأنيث	_ التاء (المؤنث)	_ فاطمة
_ التثنية	_ الألف والنون (النون)	_ الزيد
_ التكلم	_ ضمير المتكلم على إطلاقه	_ أنا أخذ
_ الغيبة	_ ضمير الغائب على إطلاقه	_ ضرب (ه)

النحو هو علم العلاقات، فلا يتناول المفردات إلا من حيث علاقتها بالمفردات الأخرى في الجملة وتلك هي علاقات النظام والرتبة والربط، وقرينة السياق التي تكشف عن علاقات المعنى يتحدد المعرب من خلال ما تغير أخره داخل النظام النحو "فالمعرب هو ما يتغير أخره بسبب العوامل الداخلة عليه، أما المبنى فهو يلزم حركة واحدة من دون التأثر بالعوامل، كما أن المعرب يدخل فيه الاسم والفعل المضارع بينما المبنى فيدخل فيه كل من الاسم والفعل والحرف"[13].

إن السياق والحالية يتخذ قيمة مهمة في بلورة الدلالة من خلال الاشتغال القرائن النحوية كمنعكس يوظف على حدث وقع خارج النص، في حين أن هذه الخصوصية الحالية تتبلور من خلال التوظيف الأمثل للقرائن دخل متن النص بما يتناسب مع سياق والحالية، فالمقام يضم المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في أبعاد الزمن والمكان، فتعكس القرائن دلالة الموقف من خلال توظيف القرائن في التركيب اللغوي للمتن "ويدل المقام على العلاقات الاجتماعية والمكانية التي يجري فيها الكلام، وهو العالم الخارج عن اللغة بما له من صلة بالتحدث اللغوي، فيتمثل في الظروف الإجتماعية والبيئة النفسية والثقافة للمتكلمين أو المشتركين في الكلام"[14]. والجدول التالي يوضح إختلاف دلالة القرينة وفق سياق معين، أين يكون لقرينة لفظة العين في التركيب تختلف دلالتها وفق السياق متعدد، حيث كل سياق ترد فيه كلمة العين يقدم دلالة يتقبلها الذهن وينصرف عن غيرها وفق سياق معين

القرينة في التركيب وفق سياق معين	الدلالة
عين الطفل تؤلمه	العين هنا الباصرة
في الجبل عين جارية	العين هنا هي عين الماء
هذا عين للعدو	العين هنا هي الجاسوس
العين الساحرة وسيلة لمعرفة الطارق	العين تدل على منظار حديث يركب على الباب لرؤية الطارق

حيث تأخذ القرينة عند اللغويين العرب القدماء أنواع متعددة ومتنوعة، يختص كل نوع بوظيفة نحوية معينة تتحدد على أساسها بنية التركيب اللغوي داخل النص، فنجد القرينة اللفظية: وهي ما يقدمه علم الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف وميادين التقسيم، وهي العلامات المكتوبة أو المنطوقة الموجودة في النص، يتحدد من خلالها مبنى النص ليؤدي دلالة معينة، وفق قرائن متعددة قائمة على علاقة ترابطية وتكاملية بين أبنية النص الصرفية والصوتية والنحوية في التركيب "وهكذا تنشأ هذه العلاقة التي تجمع الصوت والصرف والتركيب، انطلاقا من أن النحو لا يتخذ لمعانيه ميادين من أي نوع إلا بما يقدمه له الصرف الذي يستعين بالأصوات أيضا ثم يقدم المعطيات الصوتية إلى النحو باعتبارها عناصر صرفية من الميادين التي ينطلق منها يتشكل منها التركيب النصي"[15].

تتشكل القرينة اللفظية من أنواع متعددة ومتنوعة، تتشكل من خلالها دلالة اللفظ، فنجد العلامة الإعرابية: حيث أعطى اللغويون لها قيمة كبيرة، وشكلوا نظريات مطولة عليها سموها نظرية العامل، نظروا من خلالها للحركات الإعرابية ودلالتها في التركيب، حيث ينظر للقرينة على أنها مطلقة العلامة تتراوح بين الضمة والفتحة والكسرة، إلا أن هذا الاهتمام أوصل اللغويون إلى أن العلامة الإعرابية لا يمكن لوحدها أن تسهم في إنتاج الدلالة حيث يقول محمد حماسة:" إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون تضافر القرائن وليس كما رأى النحاة القدامى حينما بالغوا في الاتكال على قرينة الإعراب حتى بنوا نحوهم كله إعراب مع أن الإعراب وحده لا يقوى على تبيان المعنى النحوي"[16].

وتوسع اللغويون في التنظير لأنواع القرينة وهذه المرة من ناحية نوع آخر لا يقل أهمية في تحديد الدلالة وهو قرينة الربط: وهي قرينة لفظية تدل على ايصال أحد المترابطين بالآخر، وللربط دور مهم في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام وتوضيح معنى الإسناد داخل التركيب النصي، ومثال ذلك جملة الشرط التي ينظر لها اللغويين لكي تكون مستوفية الدلالة أني كون جواب الشرط فيها مقترنا بفاء تربطه بالشطر الأول، وبدونها بطل قيمة دلالتها "وذلك لفقد المناسبة اللفظية حينئذ بينهما، كذلك تحتاج أما ولولا والقسم إلى أدوات ربط حتى يعلم أن ما بعدها جواب لها"[17].

وهنالك من يرى في قرينة الربط أنه نظام ارتباط ، حيث نظر لقرينة الربط على أنها قرينة لفظية تركيبية لا صرفية على أن تدخل أدوات الربط في نطاقه، وبهذه تصبح قرينة الأداة التي ذكرها الدكتور تمام قرينة لفظية مصورة على الأدوات التي وضعتها اللغة لغير الربط كأدوات النفي والاستفهام، وتعد تلك الأدوات قرينة تركيبية أيضا لا صرفية، وهذه مخالفة لتمام حسان"[18].

ونظر اللغويون لقرينة الرتبة وأعطوها جانبا كبيرا من الاهتمام، من حيث هي وصف لمواقع الكلمات في التراكيب، حيث للرتبة نوعان هما 1): رتبة محفوظة، 2): رتبة غير محفوظة، ولهذه القرينة قيمة كبيرة في حفاظ التركيب على مدلوله فأي تغير في رتبة القرينة يكون له منعكس في مدلول التركيب دلالة وشكلا، على خلاف القرينة غير محفوظة فهي تخص بلاغة، أين اهتم بها علم المعني من حيث بين أغراض التقديم والتأخير ضمن دراسة للأسلوب لا التركيب، ومن أمثلة الرتبة المحفوظة بين اللغويون ذلك في جملة من القرائن للرتبة المحفوظة: تقديم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، والمؤكد على المؤكد، والفعل على الفاعل، والمضاف على المضاف إليه، وأدوات الشرط والجزم والنفي والاستفهام، ومن أمثلة الرتب غير محفوظة يبين اللغويون ذلك: تقدم المبتدأ على الخبر، الفاعل على المفعول به، والفعل على المفعول، والفعل على الحال، وهذا ولا يعني أن هذا التصنيف هو إخراج الرتب غير محفوظة من نطاق النحو نهائيا، لأنها قد تكون القرينة الوحيدة التي يلجأ إليها لكشف علاقة الإسناد ولا سيما في المبنيات.

وما لا تظهر عليه حركة نحو (ضرب موسى عيسى)، حيث يظهر جليا من خلال هذا أن موسى هنا فاعل وعيسى مفعول به، استنادا إلى أن الأصل تقدم الفاعل وتأخر المفعول به. والمخطط التالي يبين ويوضح مدى تداخل قرينة الرتبة في التركيب وعليه يسهم إسهاما كبيرا في الإحالة على الدلالة[19]:

الرتبة			
التقديم		التأخير	
رتبة محفوظة الأدوات التي بها الصدارة مثلا	رتبة غير محفوظة المبتدأ مثلا	رتبة محفوظة الفاعل مثلا	رتبة غير محفوظة المفعول به مثلا

وتتعدد أنواع القرائن اللغوية التي اجتهد اللغويون العرب في التنظير لها ومحاولة إزالة اللبس حولها، فتطرقوا أيضا إلى نوع أخر من القرائن وهو القرينة المعنوية: وهي علامة النحو أو علاقات السياق التركيبي ويتوقف تحديد المعنى النحوي على عناصر المقال، وهي بحث عن المعنى بعزل المقال عن المقام أو يتجرد اللغة النص عن سياق العام الذي جرت فيه جملة العلاقات، حيث تكون القرينة المعنوية مجموعة العلاقات التي تربط بين المعنى، حتى تكون صالحة، عند تركيبها لبيان المراد منها، "وهي أهم القرائن النحوية جميعا، وعليها اعتمد الكلام والكشف عنها هو الغاية الكبرى من التحليل اللغوي"[20].

والقرينة النحوية تدخل فيها عدة أنواع على شكل من العلاقات الداخلية، تدخل فيها عدة أقسام هي: الإسناد،

التخصص، النسبة، التبعية، "فعلاقة الإسناد هي: العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر وبين الفعل والفاعل، وتصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية نصل إليها بفهم العلاقة الرابطة بين الجزأين"[21].

وتمثل القرينة المعنوية التخصيص وهي: قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني التي تفيد الإسناد وهي متعددة ومتنوعة، منها التعددية، والغائية، والظرفية، والإخراج، ففي التعددية يلاحظ أن المفعول به قيد في الإسناد حال دون فهم الإسناد على إطلاقه نحو قولنا: "أتيت رغبة في لقائك أو كي ألقاك" فإنك قد أسندت الإتيان بدون سبب أعم منه وهو مسبب فالإتيان هنا مفهوم من جهة كونه مسببا الرغبة في اللقاء وتكون الغائية وهي قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله أو على معنى المضارع بعد الأدوات المذكورة ومقيدة للإسناد الذي لولاه لكان أعم وتكون أيضا بسبب تقييدها هذا الإسناد دالة على جهة فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل ويقال الشيء نفسه " أنا آت في لقائك، وأنا آت رغبة في لقائك وسآتي رغبة في لقائك "[22].

أما القرينة المعنوية التبعية فهي: قرينة معنوية عامة يندرج تحتها أربع قرائن هي النعت والعطف والتوكيد والإبدال، وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية أشرها: قرينة المطابقة التي تكون بين التباع والمتبوع هو العلاقة الإعرابية كما هناك قرينة أخرى هي الرتبة، إذ رتبة التابع هي تأخر عن المتبوع دائما، أما النعت فهو يصف المنعوت ويكون مفردا حقيقيا سببا وجملة، أما التوكيد فمنه ما هو لفظي ومعنوي، فاللفظي هو تكرار المؤكد والمعنوي يكون بألفاظ معينة...إلخ.

وتتجلى قرينة النسبة وهي: قرينة معنوية تجعل علاقة الإسناد نسبة، والنسب هنا التخصيص لأن التخصيص كما رأينا تقييد على حين أن النسبة هي إلحاق، ويدخل في النسبة معنى الإضافة ومعاني حروف الجر، والتي أولى اللغويون القدامى هذه الحروف الدالة على المعاني اهتماما كبيرا ، إذ أفردوا لها أبواب واسعة ومؤلفات متعددة، ومثال التالي يوضح قيمة حروف الجر في القرينة المعنوية النسبة: "أصحوا وقت طلوع الشمس" فوقت طلوع الشمس متعلق بالصحو على أن هناك نسبة للحدث إلى ظرف يحتويه، وهذه النسبة إلحاق لا تفيد، ويظهر الفرق بين هذين المعنيين إلى الإلحاق والتقييد حين تقارن بين المثال السابق: "صحوت إذ تطلع الشمس" وهو من الأمثلة التخصيص عن طريق الظرفية من جهة ومثالنا لاحق: "أصحو في وقت طلوع الشمس" الذي جعلناه أمثلة النسبة، فالمعنى الأول هو تقييد للإسناد زمنا فالصحو كان وقت طلوع الشمس نصا لا غير، على حين أن المعنى في الثاني هو نسبة الصحو إلى وقت طلوع الشمس لا إلى غيره والخلاصة هي أن الصحو في المثال الأول متوقف على طلوع الشمس فهو مقيد به وأما في المثال الثاني فالصحو منسوب إلى غير متوقف عليه"[23].

فيتضح من خلال ما تم تناوله أن البنية اللغوية للغة العربية تقوم على نسيج قائم على نظام وانتظام تتحدد من خلاله دلالة المعنى، والقرينة الإعرابية على تعددها داخل التركيب النصي جزأ لا يتجزأ من الآليات الهامة في تحديد قصدية المعنى

والدلالة، وبذلك فالدراسة تبين مدى ارتقاء اللغة من خاصيتها الاعتباطية إلى غايتها الدلالية لتأدية معنى محدد وفق سياق معين*.

خاتمة:

أولى اللغويون القدماء أهمية كبيرة للتركيب في الدرس اللساني، فالتركيب في التراث اللساني العربي له روافد هامة ومتعددة نظر لها اللغويون وأوردوا لها أبوابا وفصولا في التنظير لمفهوم التركيب والمحاور التي تندرج له، من منطلق أن التركيب في الدرس اللسان يعد مفتاح لفهم دلالة التي هي يحتويها النص، هذه الدلالة لا يمكن أن تكون بدون إدراك للمتن النصي الذي هو عليه البناء النصي، بما يحتويه من جملة من العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية، والتي تتداخل فيما بينها لتشكل دلالة تنتج من مدى اشتغال الكاتب لميزات اللغة وتسويغها من خلال جملة القواعد اللغوية التي تكفلها، ومن المحاور الهامة التي اشتغل ونظر لها اللغويين القدماء نجد محور القرينة النحوية، التي تبين من خلالها مدى أهميتها في بناء النص وبلورة دلالته من منطلق تكلها في تركيب الجملة وفق جملة من العلاقات الصرفية والنحوية، حيث تتلخص مفهوم وقيمة القرينة النحوية من جملة الوظائف اللغوية التي تنتجها داخل النص، وللقرينة قيمة هامة في إنتاج الدلالة وفق علاقة متداخلة بين السياق والمقام والتركيب والنحو والصرف.

_ إن الدراسة التركيبية في التراث اللساني العربي لها قيمة كبيرة لدى اللغويين من خلال اهتمامهم بدراسة الجملة وفق القواعد النحوية التي تقوم عليها، وللقيمة الموضوعية التي اعتمدوا عليها في دراسة التركيب للغوي فقد نظر هؤلاء إلى أن التركيب هو علم قائم بذاته يتناسب في قواعده مع علم النحو من خلال دراسة الجمل كوحدة دالة.

_ إن القرينة النحوية لها قيمتها في التركيب داخل المتن، من خلال أن مفهوم القرينة هو الصفة المصاحبة والملازمة للشيء بدون وجه لبس لتصرف عنه الغموض، وتكسبه صفة الوضوح والبيان بدون وجه لبس.

_ تتحدد القرينة من جملة المصادر المتنوعة التي تتشكل من خلالها: النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، السياق والحال، وكل قرينة تخرج عن هذه المصادر تدخل في دائرة اللبس وعليه يتعدد المعنى ويتنوع.

_ إن القرائن تنقسم إلى قسمين، بين قرائن لفظية وهي مجمل ما تقدمه الصوتيات والصرف إلى علم النحو، تتحدد بين الحركات والحروف، بين علامات منطوقة ومكتوبة، يتحدد من خلالها المعنى داخل المتن النصي، وتنقسم القرائن اللفظية إلى أنواع هي: العلامات الإعرابية، قرينة الربط، قرينة الصيغة، قرينة المطابقة، قرينة الرتبة، قرينة الأداة، وتأخذ هذه الأقسام قيمة مهمة في التركيب من خلال بلورة قيمتها وتأثيرها من خلال الدالة التي تنتجها في المتن النصي، والتي تتعدد بحسب تمركزها ورتبتها في التركيب داخل النص.

_ ولم يغفل اللغويون القدماء من التنظير للقرينة وأهميتها في التركيب في التراث اللساني العربي من خلال التنظير للقرينة والتناول مختلف الجوانب التي لها تأثير في إنتاج الدلالة، فبعد القرينة اللفظية، تناول اللغويون القدماء القرينة المعنوية من حيث

هي علامات النحو وعلاقات السياق والتي تحدد المعنى من خلالها من حيث عناصر المقال، ذلك أن في جزأ كبير من التنظير للقرينة المعنوية تتطابق مع ما جاء به النقد الحداثي في دراسة النص بمعزل عن السياق، فهو بحث عن المعنى من حيث تركيب اللغوي للقرينة داخل النص وفق تحليل ضمني من مدلول الكلام وفق رابطة القرينة المعنوية، فالقرينة المعنوية تتنوع وتتعدد في أقسامها تتحدد بالإسناد، التخصيص، التبعية، النسبة.

فالقرينة النحوية من أهم المحاور الأساسية وجزأ لا يتجزأ من الدرس اللساني في التراث العربي، تتبلور قيمتها من إشتغال اللغويين القدماء في هذا الباب حيث نظروا له وتناولوا قيمته في التركيب النصي، أين تأخذ القرينة قيمة أكبر في تدخلها في المعنى النصي، وإنتاج الدلالة التي تتحدد بنوع القرينة النحوية.

الهوامش :

(1)_ محمد الحناش، البناء المقلوب في اللغة العربية، مجلة دراسات أدبية ولسانية، عدد2/3، 1986.

(2)_ عبد السلام قدادرة، المبحث التركيبي في الدراسة اللسانية الحديثة، رسالة ماجستير في اللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005/2004، ص 128.

(3)_ رابح بحوش، المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2010، ص 29.

(4)_ حسان تمام، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص17.

(5)_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، لسان العرب، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 412.

(6)_محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ص 2181.

(7)_ محمد سمير اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الثقافة، الجزائر، د ت، ص 186.

(8)_ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 2001، ص 49.

(9)_ عائشة عنيزة، الدلالة التركيبية والقرائن النحوية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001/2000، ص 09.

(10)_ عبد الجبار توامة، القرائن المعنوية في النحو العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1997، ص 17.

(11)_ عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص 39.

(12)_ عبد الجواد إبراهيم رجب، دراسات في الدلالة والمعجم، مكتبة الآداب ميدان الأوبرا، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 17.

(13)_ عبد الحميد محمد محي الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، دار النشر السعادة، مصر، 2005، ص15.

(14)_ خليل حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2001، ص 135.

(15)_ عائشة عنيزة، الدلالة التركيبية والقرائن النحوية، ص 10.

(16)_ محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجمل بين القديم والحديث، دار غريبة، القاهرة، مصر، 2001، ص 289.

(17)_ مصطفى الفلايني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2001، ص 196.

(18)_ أحمد مندور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1999، ص 27.

(19)_ حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة،مصر،ط5، 2006، ص 208.

(20)_ عائشة عنيزة، الدلالة التركيبية والقرائن النحوية، ص 11.

(21)_ حسان تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 161.

(22)_ المرجع نفسه، ص 38.

(23)_ أحمد مندور، مبادئ اللسانيات، ص 230.

*_ ينظر مجموعة من الطلبة، أثر القرينة الإعرابية في تحديد الدلالة، مذكرة ليسانس، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009_2010م.

_ المصادر والمراجع:

المعاجم اللغوية:

(1)_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، لسان العرب، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

(2)_ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984.

المصادر:

(1)_ حسان تمام، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

المراجع:

(1)_ أحمد مندور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1999.

(2)_ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 2001.

(3)_ عبد الحميد محمد محي الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، دار النشر السعادة، مصر، 2005.

(4)_ حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، مصر،ط5، 2006.

(5)_ عبد الجواد إبراهيم رجب، دراسات في الدلالة والمعجم، مكتبة الآداب ميدان الأوبرا، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

(6)_ عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.

(7)_ محمد سمير اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الثقافة، الجزائر، د ت.

(8)_ محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجمل بين القديم والحديث، دار غريبة، القاهرة، مصر، 2001.

(9)_ مصطفى الفلايني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2001.

(10)_ خليل حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2001.

(11)_ رابح بحوش، المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2010.

المجلات العلمية:

(1)_ محمد الحناش، البناء المقلوب في اللغة العربية، مجلة دراسات أدبية ولسانية، عدد3/2، 1986.

المذكرات:

(1)_ عبد الجبار توامة، القرائن المعنوية في النحو العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1997.

(2)_ عائشة عنيزة، الدلالة التركيبية والقرائن النحوية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001/2000.

(3)_ عبد السلام قدادرة، المبحث التركيبي في الدراسة اللسانية الحديثة، رسالة ماجستير في اللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005/2004.

(4)_ مجموعة من الطلبة، أثر القرينة الإعرابية في تحديد الدلالة، مذكرة ليسانس، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009_2010.